القلة والكثرة في القرآن الكريم . دراسة تحليلية دلالية

الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي
أستاذ مشارك
جامعة الشارقة

(مُلَخَّصُ البَحث)

موضوع هذا البحث هو القلة والكثرة في القرآن الكريم. دراسة تحليلية دلالية. إذ يتناول أنماطًا مختلفة وصورًا متعددة للدلالة على القلة والكثرة في القرآن الكريم، فهو يتناول جموع التكسير والجمع السالم، والإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث. وقد توصلت فيه إلى نتائج عدة منها أن الكلمة قد يكون لها جمعا تكسير أحدهما للقلة والآخر للكثرة، والمقصود بجمع القلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة، وما زاد على العشرة فهو للكثرة. وقد يؤتى بجمع القلة للدلالة على القلة النسبية، وإذا كان للكلمة جمعان: أحدهما جمع سالم والآخر جمع تكسير فالجمع السالم للقلة والتكسير للكثرة، وليس المقصود من القول إن الجمع السالم للقلة أن يكون العدد من الثلاثة إلى العشرة دائمًا، فقد يكون المراد ذلك وقد يكون المراد أنه إذا كان للكلمة جمعان أحدهما جمع سالم والآخر جمع تكسير فالجمع السالم أقل من جمع التكسير بغضّ النظر عن العدد، وقد يأتي التذكير دالاً على القلة والتأنيث دالاً على الكثرة.

كلمات مفتاحية: القلة . الكثرة . جمع القلة . جمع الكثرة . جمع التكسير . الجمع السالم . التذكر . التأنيث.

المقدمة:

يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وبعد:

فإن موضوع هذا البحث (القلة والكثرة في القرآن الكريم . دراسة تحليلية دلالية)، إذ استعمل القرآن الكريم أنماطًا مختلفة وصورًا متعددة للدلالة على القلة والكثرة، من ذلك استعماله جموع التكسير، إذ قد نقف على كلمة جمعت جمع قلة في موطن وجمع كثرة في موطن آخر، أو جمعت جمع تكسير يدل على الكثرة في مكان، وجمعًا سالمًا يدل على القلة في مكان آخر، أو ترد الكلمة مفردة في موطن ومجموعة في موطن آخر، فيدل إفرادها على الكثرة، وجمعها على القلة، أو ترد مذكرة في مكان ومؤنثة في مكان آخر، فيدل تذكيرها على القلة وتأنيثها على الكثرة. إن هذا البحث هو دراسة تحليلية دلالية لسياق الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات، ليبحث سبب تخصيص كل آية بلفظتها.

وقد جعلت البحث موزعًا على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جمع التكسير والجمع السالم في القرآن الكريم، وقد تناولت في جموع التكسير ما إذا كان للكلمة في القرآن جمعان أحدهما جمع قلة والآخر جمع كثرة، ثم ذكرت ما إذا للكلمة جمعان أيضًا لكن أحدهما جمع سالم والآخر جمع تكسير، وضربت على ذلك أمثلة من القرآن الكريم.

والفصل الثاني: الإفراد والجمع في القرآن الكريم: وقد ذكرت لذلك صورتين: الأولى: استعمال الجمع للقلة والمفرد للكثرة. والصورة الثانية: استعمال المفرد للقلة والجمع للكثرة.

والفصل الثالث: التذكير والتأنيث في القرآن الكريم، وقد خصصت الفصل لدراسة دلالة التذكير والتأنيث في الفعل والضمير.

وقد أفدت من دراسات عديدة في هذا البحث، منها ما هو مختص بالجموع ككتاب صيغ الجموع في القرآن الكريم للدكتورة وسمية المنصور، وكتاب الجمع في القرآن الكريم وأبعاده الدلالية للدكتور يوسف العثماني. ومنها ما هو مختص بجموع القلة والكثرة كرسالة الماجستير (جموع القلة والكثرة وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم) للباحثة عتار سية أمينة. كما أفدت من كتب الدكتور فاضل السامرائي اللغوية والبيانية مثل: التعبير القرآني، وعلى طريق التفسير البياني، وقبسات من البيان القرآني، ومعاني النحو، ومعاني الأبنية في العربية وغيرها من الكتب.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

ولله الحمد أولاً وآخرًا

<u>الفصل الأول: جمع التكسير والجمع السالم في القرآن الكريم:</u>

تنقسم الجموع في العربية قسمين: جمع تكسير وجمعًا سالمًا. ويعرّف جمع التكسير بأنه الاسم الدالّ على أكثر من اثنين بصورة تغيير لصيغة واحدة لفظًا أو تقديرًا.

أما الجمع السالم فينقسم قسمين: جمع المذكر السالم: وهو ما دلّ على أكثر من اثنين بزيادة واو ونون، أو ياء ونون نحو (الزيدون والصالحون) و(الزيدين والصالحين). وجمع المؤنث السالم: وهو ما دلّ على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء على مفرده كفاطمات وزينبات.

والجمع نوعان: جمع قلة وجمع كثرة، والمقصود بجمع القلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة، فإن زاد على العشرة فهو من جموع الكثرة(١).

وقد ذكر النحاة أن جمع القلة يشمل الجمع السالم بنوعيه وأربعة من جموع التكسير وهي: أفعُل وأفعال وأفعِلة وفِعْلة نحو أفلُس وأجمال وأغلِمة وفِتية، وما عدا ذلك جمع كثرة. جاء في (الكتاب) لسيبويه: ((وأمّا ما كان على (فَعْلة) فإنك إذا أردت أدنى العدد جمعتها بالتاء وفتحت العين، وذلك قولك: (قَصْعة وقَصَعات)، و(صَحْفة وصَحَفات)، و(جَفْنة وجَفَنات)، و(شَفْرة وشَفَرات)، و(جَمْرة وجَمَرات)، فإذا جاوزت أدنى العدد كسَّرت الاسم على (فِعال) وذلك قَصْعةٌ وقِصاعٌ، وجَفْنةٌ وجِفانٌ، وشَفْرةٌ وشِفارٌ، وجَمْرةٌ وجمارٌ. . . وأما ما كان على(فُعْلة) فإنّك إذا كسّرته على بناء أدنى العدد ألحقت التاء وحرَّكت العين بضمة، وذلك قولك: رُكبةٌ ورُكُبات، وغُرْفةٌ وغُرُفاتٌ، وجَفْرةٌ وجُفُراتٌ. فإذا جاوزت بناء أدنى العدد كسَّرته على (فُعَل)، وذلك قولك: رُكَب وغُرَف وجُفَر))(٢).

نلاحظ من هذا النص أن سيبويه جعل ما يجمع بالألف والتاء جمعًا لأدنى العدد، أي جمع قلة، وما جاء جمع تكسير على (فِعال) أو (فُعَل) فهو جمع كثرة.

وجاء في (المفصل) للزمخشري أن جمع التكسير ((ينقسم إلى جمع قلة وجمع كثرة، فجمع القلة العشرة فما دونها وأمثلته: أفْعُل، أفعال، أفعِلة، فِعْلة، كأفلُس وأثواب وأجرِبة وغِلْمة، ومنه ما جمع بالواو والنون، وما عدا ذلك جموع كثرة))(٣).

ويشرح ابن يعيش قول الزمخشري فيقول: ((وأبنية القلة أربعة أمثلة من التكسير وهي (أفْعُل) مثل أفْلُس وأكْعُب ، و(أفعال) مثل أجمال وأفراس، و(أفْعِلة) مثل أرغِفة وأجرِبة، و(فِعْلة) مثل غِلْمة وصِبْية. ومن ذلك جمعا السلامة بالواو والنون نحو (الزيدون والمسلمون)، والألف والتاء، فهذان البناءان أيضًا من أبنية القلة لأنهما على منهاج التثنية، والتثنية قليل فكانا مثله))(٤).

ودليل جمع القلة ((أنك تفسر به العدد القليل فتقول: (ثلاثة أفلس) و(أربعة أجمال) و(خمسة أرغفة) و(ثلاثة صبية)، وكذلك الجمع بالواو والنون والألف والتاء. تقول: (ثلاثة بنين) و(ثلاث شجرات) فتمييزك بهذه الجموع العدد القليل دليل على ما قلناه))(٥).

ومن الاستعمال القرآني في ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] فاستعمل (أفعُل) للقلة لأنها سبعة، وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] فاستعمل البحار للدلالة على الكثرة، إذ إنها جميعًا ستتفجر وتسجر يوم القيامة(٦).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [التوبة: ٢]، وقوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ [الطلاق: ٤] فمن الملاحظ أنه ميّز بهذه الجموع العدد القليل.

وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً ﴾ [التوبة: ٣٦] إذ استعمل الشهور في مجال الدلالة على الكثرة، إذ إنها زادت على العشرة(٧).

ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، وقوله: ﴿بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] فاستعمل الآلاف للقلة لما كان عددها ثلاثة وخمسة. في حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [البقرة: ٢٤٣] إذ دلّ قوله: (ألوف) على أنهم كانوا أكثر من عشرة آلاف. يقول الرازي: ((وللوجه من حيث اللفظ أن يكون عددهم أزيد من عشرة آلاف؛ لأن الألوف جمع كثرة، ولا يقال في عشرة فما دونها: ألوف))(٨). وليس هناك ثمرة للخلاف في عددهم بعد القول بالكثرة كما قال الآلوسي(٩).

وقد يستعمل القرآن الجمع من دون ذكر العدد، لكن صيغة الجمع تدل على القلة والكثرة، وأمثلة هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] فاستعمل الفتية للقلة؛ لأن أكثر ما ذكر في عددهم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

في حين قال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ [يوسف: ٦٢] فاستعمل لفظ الكثرة ((لأنهم كانوا عددًا غير محدد، وكان الأمر لهم على الشيوع دون تحديد))(١٠). ثم إنه لا شك أنهم كانوا أكثر من عشرة، إذ إن عمال العزيز الذين يعملون على الطعام لا بدّ أن يكون عددهم أكثر من عشرة(١١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. ومعنى هذا ((أن أهل تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من النعم فعذبها الله))(١٢). يقول الآلوسي: ((وفي إيثار جمع القلة إيذان بأن كفران نعم قليلة أوجبت هذا العذاب ، فما ظنك بكفران نعم كثيرة ؟))(١٣).

ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠ . ١٢١]. في حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] .

فقد جمع النعمة في آية النحل جمع قلة فقال: (أنعُم)، في حين جمعها جمع كثرة في آية لقمان فقال: (نِعَمه)؛ ذلك أن آية النحل تتحدث عن شخص واحد هو إبراهيم عليه السلام، ((والعدد المحدد من البشر يناسبه العدد المحدد من النعم؛ لأنه ليس في مقدور أحد أن يحصي نعم الله جميعًا حتى يشكرها أو يكفر بها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]. وأما آية لقمان فالخطاب فيها عامّ لكافة البشر، فجاء ذكر النعمة فيها في صيغة الكثرة الذي يدل على كثرة نعمه تعالى وأفضاله على الناس))[١٤].

وقد يؤتى بجمع القلة للدلالة على القلة النسبية لا الحقيقية ((بمعنى أنه إذا قيس المعدود بمقابله كان قليلاً، فيستعمل للأكثر جمع الكثرة، ولما هو دونه في الكثرة جمع القلة وإن كان كثيرًا في ذاته))[١٥].

وقد ضرب الدكتور فاضل السامرائي أمثلة عديدة من القرآن الكريم على ذلك، منها استعماله الأبرار والبررة، إذ ذكر أنها وردت في ستة مواطن في القرآن وهي كلها في المؤمنين، وهم ولا شك يزيدون على العشرة، وذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ .وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ . ١٤]، وقوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وغير ذلك من الآيات.

ولم يرد لفظ (البررة) إلا في موطن واحد وهو في صفة الملائكة وهو قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٥ . ١٦].

ويبين فاضل السامرائي سبب التخصيص فيقول: ((ولعل ذلك يعود إلى أن الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة، فجيء بالفجار على جمع الكثرة، والأبرار على جمع القلة . . . للدلالة على القلة النسبية، وجاء في صفة الملائكة بلفظ البررة لا الأبرار للدلالة على الكثرة؛ لأنهم كلهم كذلك، بخلاف البشر))[١٦].

ومن ذلك استعماله الذُّكور والذُّكران، فقد يستعمل الذكران للقلة النسبية، بخلاف الذكور، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] ((فاستعمل الذكران للقلة النسبية، فإن الموصوفين بهذه الصفة لا يأتون جميع الذكور، وإنما يأتون صنفًا خاصًّا بهم، ألا ترى أنهم لا يأتون الأطفال والشيوخ، وإنما يأتون من تستسيغه

نفوسهم المنكوسة من الذكران، وهم أقل من مجموع الذكور، بخلاف قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ فإنه يشمل جميع الذكور بلا استثناء))[١٧].

وقد يتسع العرب في جموع التكسير فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر. جاء في الكتاب: ((فأما القِرَدة فاستغني بها عن (أقراد) كما قالوا: ثلاثة شُسوع، فاستغنوا بها عن أشساع، وقالوا: ثلاثة قروء، فاستغنوا بها عن ثلاثة أقرُؤ))[١٨] .

وجاء في (شرح المفصل): ((أن العرب قد تستعمل اللفظ الموضوع للقليل في موضع الكثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ولا يعد الكريم سبحانه بأن في الجنة غرفات يسيرة. وكذلك ليس المراد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ العشرة فما دونها، وإنما الإخبار عن هذا الجنس قليله وكثيره، وذلك أن الجموع قد يقع بعضها موقع بعض ويستغني بعضها عن بعض، ألا ترى أنهم قالوا: رَسَن وأرسان، وقلَم وأقلام، واستغنوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة. وقالوا: رَجُل ورِجال، وسَبع وسِباع، ولم يأتوا لهما ببناء القلة. وأقيس ذلك أن يستغني بجمع الكثرة عن القلة؛ لأن القليل داخل في الكثير))[١٩].

وقد عرضت الدكتورة وسمية المنصور جملة وافرة من الآيات التي استعمل فيها جمع القلة دالاً على الكثرة والعكس فقالت: ((فما جاء بوزن القلة ودل على الكثرة في القرآن قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥] والخطاب في الآية خرج عن العدد القليل، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: ٢٧] فأقلام جاءت في معنى المبالغة، والقلة لا تدل على مبالغة. وتستخدم (أنفس) في جميع المواضع التي وردت فيها للدلالة على الكثرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] ولا يعني ذلك اختصاص أنفس بالكثرة، فقد وردت في القرآن (نُفوس) بوزن (فُعول)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧].

ومما جاء بوزن الكثرة دالاً على القلة قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله: ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ [القصص: ٢٧]))[٢٠].

وقد ذكر الزمخشري هذا الأمر في أثناء كلامه على قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فقال: ((فإن قلت: لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟

قلت: يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية))[٢١].

وجاء في (البحر المحيط) أن هذا ((من باب التوسع في وضع أحد الجمعين مكان الآخر، أعني جمع القلة مكان الكثرة والعكس))[٢٢].

والذي أراه أن سبب اختيار هذا الجمع الذي يفيد الكثرة هو أن المطلَّقة قد تشعر أن التربص . وهو الانتظار . يطول بها إذا بقيت تنتظر ثلاثة قروء، فاستعمل (قروء) إشارة إلى ما يداخلها من الشعور بطول الانتظار، ففترة الانتظار بالنسبة إليها هو (ثلاثة قروء) فالتعبير يوحي بالانتظار الطويل والله أعلم.

* * *

وقد ذكرنا آنفًا قول النحاة إن الجمع السالم من جموع القلة، جاء في (معاني الأبنية في العربية): ((أن الجمع السالم بنوعيه يفيد القلة عندهم[٢٣] كالسنبلات والسنابل، والجفنات والجفان، والزيدين والزيود، فالسالم يفيد القلة، والتكسير يفيد الكثرة))[٢٤].

والذي يبدو أن الاسم إذا كان له جمعان: أحدهما جمع سالم والآخر جمع تكسير فالجمع السالم للقلة، وجمع التكسير للكثرة نحو (شجرات) في القلة، و(أشجار) في الكثرة. أما إذا لم يكن للاسم إلا جمع واحد كأن يكون جمعًا سالمًا أو جمع تكسير فإنه عند عدم القرينة يفيد القلة والكثرة. مثال ذلك جمع (طالبة) على (طالبات)، فهذا الجمع يفيد القلة والكثرة، إذ ليس للمفردة سوى هذا الجمع[٢٥]. ونحوه جمع التكسير مثل جمع (رجُل) على (رِجال) فهذا الجمع يفيد الكثرة والقلة، إذ لا يجمع جمعًا آخر.

وقد ردّ يوسف العثماني قول النحاة إن الجمع السالم يفيد القلة بقوله: ((ومما يفند رأي بعض النحاة ويؤكد الدلالة على الكثرة في صيغ جمع المؤنث السالم حديث القرآن عن الصالحين ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] إذ لا يعقل أن تكون غرف الجنة بين الثلاثة والعشرة))[٢٦].

ويبدو لي ترجيح ما ذهب إليه النحاة، إذ ليس قولهم: (إن الجمع السالم يدل على القلة) يراد به أن العدد محصور بين الثلاثة والعشرة دائمًا، فقد يكون المراد ذلك، وقد يكون المراد أنه إذا كان للكلمة جمعان: أحدهما جمع سالم، والآخر جمع تكسير فالجمع السالم أقل من جمع التكسير بغضّ النظر عن العدد، فحتى إن كان الجمع السالم أكثر من عشرة فإنه يبقى أقل من جمع التكسير.

وبهذا يمكننا أن نفند احتجاج يوسف العثماني بآية سبأ فنقول: إن لفظ (الغرفات) في آية سبأ لا تعني أنها قليلة وأنها بين الثلاثة والعشرة، لكن المقصود أن الغرفات أقل من الغرف، فهي تعني القلة النسبية. يقول فاضل السامرائي: ((ومن المعلوم في اللغة أن الجمع السالم إذا كان معه جمع تكسير فهو يفيد القلة. فـ(الغرف) جمع كثرة، و(الغرفات) جمع قلة، والمقصود هنا القلة النسبية، وليس المقصود بها القلة العددية من الثلاثة إلى العشرة، وإنما هي للقلة بالنسبة إلى غيرها وإن كانت كثيرة العدد، فالغرفات أكثر من الغرف وإن كانت غرفات الجنة كثيرة في العدد))[٢٧].

إن كلمة (غرفة) جمعت في القرآن الكريم جمع مؤنث سالمًا على (غرفات) كما في آية سبأ، وجمعت جمع تكسير على (غُرَف) كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [العنكبوت: ٥٨]، وقوله: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر: ٢٠] .

ويبين فاضل السامرائي سبب تخصيص كل آية بجمعها فيقول: ((ولعل السبب في هذا الاختلاف في الجزاء أن آية الزمر في الذين اتقوا ربهم وهي درجة أعلى من مجرد الإيمان والعمل الصالح، فقد يكون من المؤمنين والذين يعملون الصالحات غير متقين. فالتقوى درجة أعلى في الإيمان والعمل الصالح. فذكر أن لهم (غرفًا) بالكثرة وأن من فوقها غرفًا مبنية.

وأما آية العنكبوت فهي في الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون.

فزاد على الإيمان والعمل الصالح: الصبر والتوكل على الله، فذكر سبحانه أنه يبوّئهم من الجنة غرفًا.

وأما المذكورون في آية سبأ فهم أقل درجة ممن قبلهم، فإنه ذكر الإيمان والعمل الصالح ولم يزد عليهما فذكر (الغرفات)، وهم جمع قلة بالنسبة للمذكورين))[٢٨].

ثم إنه في آية سبأ ورد التعبير بصيغة الإفراد فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾، في حين ورد بصيغة الجمع في آيتي الزمر والعنكبوت فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وقال: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾، فناسب صيغة الإفراد أن تجمع الغرفة جمعًا سالمًا ليفيد القلة، وناسب صيغة الجمع أن تجمع جمع تكسير ليفيد الكثرة، وذلك لأجل أن يناسب العدد المعدود.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه ذكر في آية الزمر أنها غرف من فوقها غرف مبنية، أي أنها تقع في طابقين، وعلى هذا فعددها ضعف ما في آية سبأ، فناسب ذلك مجيئها مجموعة جمع تكسير الدال على الكثرة في آية الزمر.

ثم إن التكريم المذكور في آيتي العنكبوت والزمر أكبر منه في آية سبأ، ففي الآيتين ذكر أن الغرف تجري من تحتها الأنهار ولم يذكر ذلك في آية سبأ، فناسب ذلك التكريم أن تأتي (غرفة) مجموعة جمع تكسير والله أعلم.

* * *

وقد يكون العدد متشابهًا في الآيتين، ولكن المعدود يرد مجموعًا جمع كثرة في موطن، وجمع قلة في موطن آخر، ومن أمثلة ذلك تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة:٢٦١]، وقوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف:٤٣].

نلاحظ أن العدد واحد في الآيتين وهو (سبع)، لكن المعدود جاء مجموعًا جمع تكسير مرة على (سنابل)، وجمع مؤنث سالمًا مرة أخرى على (سنبلات).

وقد ذهب العلماء إلى أن سياق الآيتين يقتضي ذلك. يقول ابن قيم الجوزية: ((وتأمل كيف جمع السنبلة في هذه الآية[٢٩] على (سنابل) وهي من جموع الكثرة، إذ المقام مقام تكثير وتضعيف، وجمعها على (سنبلات) في قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ فجاء بها على جمع القلة؛ لأن السبعة قليلة، ولا مقتضى للتكثير))[٣٠].

ويوضح أحمد بن الزبير الغرناطي سبب التخصيص بصورة أكثر تفصيلاً فيقول: ((إن آية البقرة مبنية على ما أعدّ الله تعالى للمنفق في سبيله وما يُضاعَف له من أجر إنفاقه وأن ذلك ينتهي إلى سبعمائة ضعف، وقوله: ﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ . . . ﴾ قد يفهم الزيادة على ما نص عليه من العدد . . . فبناء هذه الآية على التكثير، فناسب ذلك ورود المفسر على ما هو من أبنية الجموع للتكثير لحظًا للغاية المقصودة. ولم يكن ما وضعه للقليل في الغالب ليناسب ما تُلحَظ فيه الغاية من التكثير.

أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه عن سبع سنبلات، فلا طريق للحظ كثرة ولا قلة؛ لأنه إخبار برؤيا، فوجهه الإتيان من أبنية الجموع بما يناسب المرئي وهو قليل؛ لأن ما دون العشرة قليل))[٣١].

ويرى يوسف العثماني أن السنابل والسنبلات تدلان على القلة مخالفًا في ذلك ما ذهب إليه العلماء، فهو يقول: ((وليس مستبعدًا أن يكون التمييز بين صيغ القلة وصيغ الكثرة ملتزمًا به في القرآن، إذ وقع استعمال السنابل والسنبلات للدلالة على القلة، و(السنبل) [أي في قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي﴾ [يوسف: ٤٧]] للدلالة على الكثرة، ولكن تلك القلة تتضح أكثر بذلك العدد قبل الجمع المعنيّ..))[٣٢].

وكلام العثماني فيه نظر، إذ إن السنبل ليس جمع تكسير، وإنما هو اسم جنس جمعي كما هو معلوم، وهو ما يدل على أكثر من اثنين، ويفرّق بينه وبين واحده بالتاء فتقول: سنبلة وسنبل، وشجرة وشجر، وكلام النحاة في جمع التكسير وليس في اسم الجنس الجمعي. ثم إن كلامه هذا لا يبين سبب تخصيص كل آية بجمعها، بخلاف قول العلماء الذي ذكرناه آنفًا، ولذا فالراجح ما ذهبوا إليه والله أعلم.

* * *

وقد ترد قصة في موطنين، وفيها كلمة مجموعة جمعًا سالمًا في موطن، وجمع تكسير في موطن آخر. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى مخبرًا عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨] .

وقوله في موطن آخر مخبرًا عنهم أيضًا: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١] .

فقال في سورة البقرة: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، بجمع الكثرة، وقال في سورة الأعراف: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بجمع القلة.

وسياق الآيتين يوضح سبب التخصيص، ففي سورة البقرة أضاف القول إلى نفسه فقال: (وإذ قلنا) فقرن بذلك ما يليق بجوده وكرمه وهو غفران الذنوب الكثيرة، فجاء بلفظ الجمع الدالّ على الكثرة. وفي الأعراف لما لم يضف القول إلى نفسه، بل ورد القول بالبناء للمجهول (وإذ قيل) ناسب ذلك المجيء بالجمع السالم الدالّ على القلة[٣٣].

ثم إن جمع الكثرة (خطاياكم) مناسب لتعداد النعم على بني إسرائيل وتكريمهم، أي مهما كانت خطاياكم كثيرة فإنّا نغفرها لكم. وجمع القلة (خطيئاتكم) مناسب لمقام التقريع والتأنيب، أي يغفر لهم خطيئات قليلة[٣٤].

* * *

والكلام ينطبق على جمع المذكر السالم، فإذا ورد للاسم جمعان: أحدهما جمع مذكر سالم والآخر جمع تكسير فجمع التكسير يدل على الكثرة، وجمع المذكر يدل على القلة، فجمع (زيد) على (زيدِين) يفيد القلة، وعلى (زُيود) يفيد الكثرة. ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١]، وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] بجمع (نبي) على (نبيين).

وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وقوله: ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥] بالجمع على (أنبياء).

فقد ورد الجمع في آية البقرة والآية الأولى من آيتي آل عمران بصورة القلة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾، وورد في الآية الثانية من آيتي آل عمران وآية النساء بصورة الكثرة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ﴾، ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ﴾ فما السبب؟

يبين فاضل السامرائي سبب تخصيص آية البقرة بالجمع السالم والآية الأولى من آيتي آل عمران بجمع التكسير فيقول: إن سياق الآيتين يوضح أن الذم والتشنيع عليهم والعيب على فعلهم في آية آل عمران أكبر منه في آية البقرة، فقد قال في آية البقرة: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال في آية آل عمران: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]. ويدلل على ذلك بأمور منها: ((أنه في سورة البقرة جمع (الذلة والمسكنة)، وأما في آية آل عمران فقد أكّد وكرّر وعمّم فقال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ﴾ فجعلها عامة، ثم قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ فأعاد الفعل وحرف الجر للزيادة في التوكيد، فإن قولك: (أنهاك عن الكبر وأنهاك عن الرياء) آكد من قولك: (أنهاك عن الكبر والرياء). ثم إنه ذكر الجمع في آية البقرة بصورة القلة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾، وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ﴾ أي يقتلون العدد الكبير بغير حق، فالتشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشدّ))[٣٥].

وما ذكره السامرائي في هاتين الآيتين ينطبق على الآية الأخرى من آيتي آل عمران وآية النساء، فقد قال في آية آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

وقال في آية النساء: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً . وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً . وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ [النساء: ١٥٥ . ١٥٧].

نلاحظ في الآيتين أن الجرائم المذكورة في آية النساء أكثر منها في آية آل عمران، إذ لم يذكر من جرائمهم في آية آل عمران سوى كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس.

أما عدد الجرائم والآثام المذكورة في آية النساء فهي أكثر، إذ ذكر من جرائمهم وآثامهم نقضهم الميثاق، والكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف، وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا، وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله .

فناسب ذكر قلة الجرائم في آية آل عمران أن يذكر النبيين الذين قُتلوا بجمع القلة، وناسب ذكر كثرة جرائمهم وآثامهم في آية النساء أن يذكر الأنبياء الذين قُتلوا بجمع الكثرة والله أعلم.

* * *

ومن ذلك استعمال (القاعدين) و(القعود) جمع (قاعد)، فقد خص القرآن الكريم لفظ القاعدين بالقعود عن الجهاد، إذ وردت اللفظة ست مرات كلها بمعنى القعود عن الجهاد في سبيل الله، فقد وردت ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً . . . وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٥]، كما وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٨٦]، وقوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤].

أما (القعود) فقد استعمله نقيض القيام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال: ﴿فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً﴾ [النساء:١٠٣].

كما خص لفظ (القائمين) جمع (قائم) بالقيام بأوامر الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣]، وقال: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ [الحج:٢٦]، أما القيام فقد استعمله نقيض القعود، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ [الفرقان: ٦٤] وكما في آية آل عمران وآية النساء السابقتين.

((ولعل من أسباب ذلك الدلالة على القلة والكثرة النسبية، فإن الجمع السالم الأصل فيه أن يكون للقلة كما هو معلوم، ولا شك أن القاعدين عن الجهاد أو القائمين بأمر الله أقل بكثير من الذين يقومون ويقعدون بمعنى القيام والقعود الحقيقي، فاستعمل الجمع السالم للقلة، وجمع التكسير الدالّ على الكثرة للكثرة))[٣٦].

* * *

الفصل الثاني: الإفراد والجمع في القرآن الكريم:

هناك صورتان للإفراد والجمع في القرآن الكريم: الصورة الأولى: استعمال الجمع للقلة والمفرد للكثرة. والصورة الثانية: استعمال المفرد للقلة والجمع للكثرة. وسأفرد كلاً من الصورتين بشيء من التفصيل:

الصورة الأولى: أن يستعمل الجمع للقلة والمفرد للكثرة، وذلك في مواطن منها:

١ـ تمييز العدد: إذ يستعمل العدد مجموعًا مع الأعداد من الثلاثة إلى العشرة لأنها للقلة، ومفردًا مع ما فوق العشرة لأنها للكثرة فيقال: خمسة رجال وعشرون رجلاً ومائة رجل. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ [الحاقة: ٧] فجمع المعدود لأن عدد الأيام والليالي قليلات، وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] فأفرد المعدود (ليلة) لأن عدد الليالي كثيرة، والأمثلة على ذلك في القرآن كثيرة.

٢ـ الضمير العائد على جمع غير العاقل: إن الغالب في جمع غير العاقل أن يعود عليه الضمير في جمع الكثرة بالإفراد، وفي القلة بالجمع. تقول: (الأكواب تكسرنَ) بنون النسوة إذا كان عددهن قليلاً، وتقول: (الأكواب تكسرتْ) إذا كانت كثيرة. جاء في (همع الهوامع): ((والأحسن في جمع المؤنث غير العاقل إن كان للكثرة أن يؤتى بالتاء وحدها في الرفع، و(ها) في غيره، وإن كان للقلة أن يؤتى بالنون، فالجذوع انكسرتْ وكسَرْتُها أولى من انكسرنَ وكسَرْتُهنَّ، والأجذاع بالعكس))[٣٧].

وجاء في (البرهان) للزركشي: ((وأما جمع غير العاقل ففيه تفصيل: إن كان للكثرة أتيت بضميره مفردًا فقلت: (الجذوع انكسرتْ)، وإن كان للقلة أتيت جمعًا. وقد اجتمعا في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ﴾ إلى أن قال: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ فالضمير في (منها) يعود إلى (اثني عشر) وهو جمع

كثرة، ولم يقل: (منهن)، ثم قال سبحانه: ﴿فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ فهذا عائد إلى الأربعة، وهو جمع قلة))[٣٨].

ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ [نوح:١٥ . ١٦] فأعاد الضمير على السماوات بصيغة الجمع لأنهنّ سبع. وقوله: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ﴾ [البقرة:٢٦٠] فأعاد الضمير المتصل بالكلمات (صرهنّ . منهنّ . ادعهنَّ . يأتينك) على الطير بصيغة الجمع لأن عددهن قليل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤] فقال: (يذهبن) ولم يقل: (تُذهب) ((ليبين أن الحسنات وإن كانت قليلة يذهبن السيئات، ولو قال: (تُذهب) لدل على أن الحسنات إذا كانت كثيرة تُذهب السيئات))[٣٩].

٣ـ اسم الإشارة: ذكر الفراء أن العرب ((يقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: (هنّ) و(هؤلاء)، فإذا جزت العشرة قالوا: (هي) و(هذه) إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير. . . وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ﴾ [الإسراء:٣٦] لقلتهنّ، ولم يقل: تلك، ولو قيلت لكان صوابًا))[٤٠].

وجاء في (مجالس ثعلب): ((يقال: هؤلاء وأولئك للقليل، وهذه وتلك للكثير، وهؤلاء النسوة للقليل، و(تلك) للكثير))[٤١].

ويمكننا أن نجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فقال: (تلك) للدلالة على كثرتهم.

وقول الشاعر:

ذُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام[٤٢]

ويبدو لي أن الشاعر أشار إلى الأيام التي قضاها في (منزلة اللوى) بـ(أولئك) لقلتهنّ، أو أن الشاعر رآهُنّ كذلك.

٤ـ صفة جمع ما لا يعقل: يذكر علماء اللغة في كلامهم على صفة جمع ما لا يعقل أن العرب تستعمل الجمع للقلة والمفرد للكثرة. جاء في (درة الغواص) قوله: ((وكذلك اختاروا أن ألحقوا بصفة الجمع الكثير الهاء فقالوا: (أعطيته دراهم كثيرة) و(أقمت أيامًا معدودة)، وألحقوا بصفة الجمع القليل الألف والتاء فقالوا: (أقمت أيامًا معدودات) و(كسوته أثوابًا رفيعات) لأن جمع المؤنث السالم بدون الألف واللام للقلة عند الأكثر فلهذا وصف به جمع القلة، ووصف جمع الكثرة بالمفرد فرقًا بينهما))[٤٣].

ويوضح فاضل السامرائي هذه المسألة فيقول: ((وإيضاح ذلك أن المفرد المؤنث إذا وقع صفة للجمع دلّ على أن الموصوف أكثر منه إذا كانت صفته جمعًا سالمًا. فإنك إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقة) دلّ على أن عندكم جبالاً كثيرة، بخلاف ما إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقات) فإنه يدل على القلة. والأنهار في قولك: (أنهار جارية) أكثر منها في (أنهار جاريات)))[٤٤].

ولذا تجد في الاستعمال القرآني كثيرًا ما يأتي الوصف بالجمع للدلالة على القلة، وبالإفراد للدلالة على الكثرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣] فوصف الأيام بالجمع فقال: (أيام معدودات) للدلالة على قلتهن. جاء في (البحر المحيط): ((والأيام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر . . . أو يوم النحر ويومان بعده . . . أو يوم النحر وثلاثة أيام التشريق))[٤٥]. وعلى كل هذه الاحتمالات فالتعبير يدل على أنهن قليلات.

ووفقًا لما سبق يرى محمد فاضل السامرائي أن الوصف بالمفرد يدل على الكثرة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٣ . ١٦] فهو يقول: إن هذا التعبير ((يدل على أن في الجنة سررًا وأكوابًا ونمارق وزرابي كثيرة، ولو قال: (مرفوعات، موضوعات، مصفوفات، مبثوثات) لدلّ على أنهنّ قليلات))[٤٦]. وهو رأي له وجاهته، إذ إن ما ذكر في آيات الغاشية إنما هو في وصف نعيم الجنة، ولا يناسب الوصف أن يكون بالجمع السالم الدالّ على القلة، بل المناسب أن يكون بالمفرد الدالّ على الكثرة.

وقد نرى هذه الدلالة في الاسم الموصول أيضًا نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود:١٠١] فقال: ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ . . .﴾ ولم يقل: (اللاتي) للدلالة على الكثرة. جاء في (روح المعاني): ((إن (التي) في جمع غير العالم أكثر من (اللاتي)))[٤٧].

ووجه ذلك أن ((هذه الآلهة على كثرتها لم تغن عنهم شيئًا. ثم إن هذه قيلت في أمم متعددة ولكل منها آلهة، فاختار (التي) لتدل على الكثرة في نحو هذا))[٤٨].

* * *

وقد تمر بنا آيتان متشابهتان، الوصف في إحداهما بالإفراد وفي الأخرى بالجمع، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة:٨٠] بالوصف بالمفرد، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران:٢٤] بالوصف بالجمع.

يقول الخطيب الإسكافي: ((فأما المعنى في القلة فسواء في قوله: (معدودة) و(معدودات)))[٤٩]. ونقول: نعم، إن مقصودهم في الآيتين أن مكثهم في النار سيكون أيامًا قلائل على قدر معصيتهم، لكن القلة هنا نسبية، والأيام المعدودة أكثر من الأيام المعدودات بغضّ النظر عن عدد الأيام التي سيقضونها في النار.

ويتضح الأمر عندما توضع كل آية في سياقها، أما آية البقرة فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]

أما آية آل عمران فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣]

وبالنظر في سياق الآيتين يتبين أن الجرم المذكور في آية البقرة أكبر منه في آية آل عمران، وإيضاح ذلك أن الله يتوعد في آية البقرة الذين يحرّفون كلام الله فيكتبونه بأيديهم وينسبونه إلى الله كذبًا وزورًا ليكسبوا منافع دنيوية لهم، فتوعدهم الله بالعذاب الشديد على التحريف وعلى ما كسبت أيديهم من السحت. وهم يعلمون أن الله سيعاقبهم على هذا الجرم فقالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ بصيغة الكثرة.

أما جرم من ذكروا في آية آل عمران فهو أنهم يُدعَون إلى كتاب الله ليكون حكمًا فيما يتنازعون ويختلفون فيه، فيُعرض فريق منهم عن القبول بحكم الله. ولا شك أن هذا جرم عظيم ولكن ليس ((مثل الجرم المذكور في سورة البقرة من ارتكاب الذنب العمد وتحريف كلام الله، ففرق كبير بين المقامين، فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير، والقليل للذنب القليل فقال: (معدودات) بصيغة جمع القلة في آل عمران، بخلاف آية البقرة))[٥٠].

ولعل في هذا توضيحًا لعبد الله عبد الفادي ولمن ردّ عليه وهو إبراهيم عوض، إذ يقول عبد الله عبد الفادي في كتابه (هل القرآن معصوم؟): ((وكان يجب أن يجمعها [أي كلمة "معدودة" في آية البقرة] جمع قلة، حيث إنهم أرادوا القلة فيقول: (أيامًا معدودات)))[٥١]. ويقول إبراهيم عوض رادًّا عليه: ((والسؤال هو: هل عرف هذا الجهول على وجه اليقين عدد الأيام التي سيمكثها اليهود حسب اعتقادهم في النار قبل أن يتكلم عن أي التعبيرين أصلح من الآخر ؟ ثم هناك سؤال ثانٍ: تُرى من قال له إن أحد التعبيرين يدل على القلة، والآخر يدل على الكثرة ؟

إن الدلالة على القلة ناشئة من أن الأيام التي سيقضونها في النار أيام يمكن عدها بسهولة، فصيغة المفعول من (عدّ) هي في ذاتها دالة على القلة بغضّ النظر عن إفرادها أو جمعها. ولقد وردت هذه العبارة ذاتها وعلى لسان اليهود أيضًا، في موضع آخر من القرآن، مع استبدال كلمة (معدودات) بـ(معدودة) بما يدل على صحة ما قلت))[٥٢].

وقد رأينا أن سياق آية البقرة يقتضي أن توصف الأيام بأنها معدودة، وسياق آية آل عمران يقتضي أن توصف بأنها معدودات، وذلك لكي يناسب كل وصف الإجرام الذي ورد فيه.

* * *

وقد يعدل القرآن الكريم من تعبير إلى آخر ((لضرب من البلاغة، كتنزيل القلة منزلة الكثرة وبالعكس مما يليق به المقام، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة:١٨٣ . ١٨٤] فقال: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ لتقليلها مع أنها أكثر من عشرة، أي هي قليلة يسيرة بالنسبة إلى قدرتكم واستطاعتكم، ولذا قال بعدها: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]))[٥٣].

* * *

الصورة الثانية: أن يستعمل المفرد للقلة والجمع للكثرة:

يذكر فاضل السامرائي هذه الصورة فيقول: إن القرآن الكريم استعمل ((الخطاب بالجمع وبالإفراد للتمييز بين مجموعتين، فقد تكون مجموعة أكبر من مجموعة فيستعمل لخطاب الجمع الكثير بصورة الجمع، وللقليل بصورة الإفراد وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة:٢٣٢]، وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة:١٢] فإن الآية الأولى لخطاب المؤمنين عامة وتكليفهم إلى قيام الساعة. وأما الآية الأخرى فلخطاب الصحابة وحدهم ولا يشمل غيرهم من المسلمين. ثم إنه حكم ما لبث أن نسخ، فجاء لما هو عام شامل بصيغة الجمع، ولما هو خاص بصيغة الإفراد))[٥٤].

* * *

ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [يونس:٤٢]، وقوله: ﴿وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [يونس:٤٣].

فقال: (يستمعون) بلفظ الجمع، وقال بعده: (ينظر) بصيغة المفرد؛ لأنه ((كان في المستمعين كثرة، فجمع ليطابق اللفظ المعنى، ووحّد النظر حملاً على اللفظ، إذ لم يكثر كثرتهم))[٥٥].

أما فاضل السامرائي فيرى أن السبب هو أن المستمعين أكثر من الرائين على وجه العموم، ويستدل على ذلك بأننا ((نسمع إلى أناس كثير لا نراهم في الإذاعات وأشرطة التسجيل وغيرها من وسائل السمع، فجمع المستمعين لأنهم أكثر))[٥٦].

* * *

ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام:٢٥]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [يونس:٤٢].

فوحّد الاستماع في آية الأنعام وجمعه في آية يونس، ومما ذكروه ((في التفريق بين الاستماعين المذكورين آنفًا أن قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ بالإفراد أن الآية نزلت في بضعة رجال من قريش، وهم أبو سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة وأمية وأبي بن خلف، بخلاف آية يونس فإن المراد بهم جميع الكفار ممن يستمعون إليه، فوحّد الاستماع في الأنعام لقلة المستمعين، وجمعه في يونس لكثرتهم، ففرق بين الجمعين، فجعل الإفراد للقلة والجمع للكثرة ليوافق اللفظ المعنى))[٥٧].

ويظهر الفرق عندما تقارن آية يونس بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا﴾ [محمد: ١٦] فجاء في آية محمد ((بلفظ المفرد لأنهم بحضرته، بدليل قوله: ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ﴾ أي هم قلة، بخلاف آية يونس. فانظر أنه لما كان المستمعون في آية الأنعام وآية محمد قليلين أفرد اللفظ ، ولما كانوا كثيرين في آية يونس حمل على المعنى فجمع)) [٥٨].

* * *

<u>الفصل الثالث: التذكير والتأنيث في القرآن الكريم:</u>

يذكر النحاة أن التذكير قد يفيد القلة، والتأنيث قد يفيد الكثرة وذلك في الفعل والضمير، وإليك التفصيل:

أولاً: تذكير الفعل وتأنيثه:

يذكر النحاة أن تذكير الفعل يفيد القلة، وتأنيثه يفيد الكثرة، وجعلوا من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠] فقالوا: إن تذكير الفعل يفيد قلة النسوة . جاء في (معاني القرآن) للفراء: ((ومثله ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾، فذكّر

الفعل لقلة النسوة . . . ومنه قوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة:٥] ولم يقل: (انسلختْ) وكلٌّ صواب))[٥٩] فذكّر الفعل لقلة الأشهر الحرم.

وقد رجح فاضل السامرائي هذا الرأي على رأي أبي البقاء الكفوي الذي يقول فيه: ((وقد يترجح أحد المتساويين في نفس الأمر مع جواز الآخر كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤]، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ تنزيلاً لهم منزلة الإناث في نقصان العقل، إذ لو كملت عقولهم لدخل الإيمان في قلوبهم. ألا ترى أن النسوة لما وصفوا زليخًا بالضلال المبين، وذلك من شأن العقل التام، نزلن منزلة الذكور))[٦٠].

ووجه ترجيحه أن القرآن استعمل التأنيث أحيانًا للدلالة على الكثرة، بخلاف التذكير، ويضرب على ذلك مثالاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:١٨٣] فقال: ﴿قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ﴾ بتذكير الفعل.

وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣] فأنّث الفعل.

ويبين السامرائي سبب التذكير والتأنيث فيقول: ((إن الأولى خطاب لبني إسرائيل فقال لهم: ﴿قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ﴾، والثانية في رسل الله جميعًا؛ لأن الكلام على لسان أهل الجنة في الآخرة، فالرسل في الآية الثانية أكثر عددًا مما في الآية الأولى، فأنّث الفعل للكثرة وذكّره للقلة))[٦١].

وذكر أن قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣] شبيه بآية الأعراف السابقة، ((فإن الكلام في الآخرة أيضًا، فأنّث الرسل للدلالة على الكثرة))[٦٢].

وقد ذكروا أن تأنيث الفعل في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ يدل على كثرتهم[٦٣].

* * *

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]

وقولـه:﴿وَإِن يُكَـذِّبُوكَ فَقَـدْ كُـذِّبَتْ رُسُـلٌ مِّـن قَبْلِـكَ وَإِلَـى اللَّهِ تُرْجَـعُ الأُمُـورُ﴾ [فاطر:٤]

فقال في الآية الأولى (كُذّب) بتذكير الفعل، وفي الأخرى (كُذّبت) بتأنيثه.

يـرى ابـن الزبيـر الغرنـاطي أن سـبب ذلـك هـو أن فـي آيـة آل عمـران قولـه تعـالى: ﴿جَـآؤُوا بِالْبَيِّنَـاتِ﴾ بـواو الجماعـة، وواو الجماعـة خـاص بالمـذكر، فناسـب ذلـك تـذكير الفعـل (كُـذّب)، أمـا فـي آيـة آل عمـران فقـد حصـل فيهـا تناسـب بـين تأنيـث الفعـل (كُذّبت) وتأنيث (ترجع)[٦٤].

ويبـدو أن تأنيـث الفعـل فـي آيـة فـاطر يفيـد الكثـرة، ومما يـدل علـى ذلـك قولـه فـي آيـة آل عمـران: ﴿فَقَـدْ كُـذِّبَ رُسُـلٌ مِّـن قَبْلِـكَ جَـآؤُوا بِالْبَيِّنَـاتِ وَالزُّبُـرِ وَالْكِتَـابِ الْمُنِيـرِ﴾ فـوردت كلمـة (رسـل) متبوعـة بصـفة هـي قولـه: ﴿جَـآؤُوا بِالْبَيِّنَـاتِ وَالزُّبُـرِ وَالْكِتَـابِ الْمُنِيـرِ﴾ فهـي مخصصـة، بخـلاف آيـة فـاطر، فقـد قـال فيهـا: ﴿فَقَـدْ كُـذِّبَتْ رُسُـلٌ مِّـن قَبْلِـكَ وَإِلَـى اللَّهِ تُرْجَـعُ الأُمُـورُ﴾ فكمـا هـو واضـح أنهـا غيـر مخصصـة، إذ لـم تـأت جميـع الرسـل بالبينـات والكتـب، فـدلّ أن الرسـل فـي آيـة فـاطر أكثـر[٦٥]، ومـن المعلـوم فـي اللغـة أن مـا خصـص أقـل ممـا لـم يخصـص، فعـدد الرجـال فـي قولنـا مـثلاً: (أقبـل رجـال كرام) أقل من عددهم في قولنا: (أقبل رجال) من دون تقييد بوصف.

* * *

ومـن ذلـك قولـه تعـالى: ﴿كَـذَّبَتْ قَـوْمُ نُـوحٍ الْمُرْسَـلِينَ﴾ [الشـعراء:١٠٥] ، وقولـه: ﴿كَـذَّبَتْ قَـوْمُ لُـوطٍ الْمُرْسَـلِينَ﴾ [الشـعراء:١٦٠] فـذكر تـاء التأنيـث مـع الفعـل (كـذّب) مـع أنه مسند إلى (قوم).

وقـال: ﴿وَكَـذَّبَ بِـهِ قَوْمُـكَ﴾ [الأنعـام:٦٦] فلـم يـذكر تـاء التأنيـث مـع الفعـل (كـذب) مـع أنـه مسـند إلـى (قـوم) أيضًـا. وسـبب ذلـك ((أن التأنيـث يفيـد الكثـرة . . . وأن الأكثـرين مـن قـوم نـوح وقـوم لـوط كـذبوا المرسـلين. فـي حـين أن الأكثـرين مـن قـوم الرسـول آمنـوا وأسـلموا وانتشـر الإسـلام بهـم. فناسـب ذكـر التـاء مـع قـوم نـوح ولـوط دون قوم الرسول))[٦٦].

* * *

ثانيًا: تذكير الضمير وتأنيثه:

قـد يـأتي الضـمير المؤنـث دالاً علـى الكثـرة، والضـمير المـذكر دالاً علـى القلـة، ومـن أمثلـة ذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَإِنَّ لَكُـمْ فِـي الأَنْعَـامِ لَعِبْـرَةً نُّسْـقِيكُم مِّمَّـا فِـي بُطُونِـهِ مِـن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]

وقولـه: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِـي الْأَنْعَـامِ لَعِبْـرَةً نُّسـقِيكُم مِّمَّـا فِـي بُطُونِهَـا وَلَكُـمْ فِيهَـا مَنَـافِعُ كَثِيـرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١].

فقـال فـي آيـة النحـل: (بطونـه)، وفـي آيـة المؤمنـون: (بطونهـا) مـع أن الضـمير في كلتا الآيتين يعود على الأنعام .

لقـد وجـه الخطيـب الإسـكافي والكرمـاني وغيرهمـا هـاتين الآيتـين بنـاءً علـى مـا يفيـده تـذكير الضـمير مـن القلـة وتأنيثـه مـن الكثـرة. يقـول الخطيـب الإسـكافي: إن ((الأنعـام فـي سـورة النحـل وإن أطلـق لفـظ جمعهـا فـإن المـراد بـه بعضـها، ألا تـرى أن الـدرّ لا يكـون لجميعهـا، وأن اللـبن لـبعض إناثهـا، فكأنـه قـال: وإن لكـم فـي بعـض الأنعـام لعبـرة نسـقيكم ممـا فـي بطونـه، ولهـذا ذهـب مـن ذهـب إلـى أنـه رد علـى الـنَّعم لأنه يؤدي ما تؤديه الأنعام من المعنى . . .

ولـيس كـذلك ذكرهـا فـي سـورة المـؤمنين؛ لأنـه قـال: ﴿نُّسـقِيكُم مِّمَّـا فِـي بُطُونِهَـا وَلَكُـمْ فِيهَـا مَنَـافِعُ كَثِيـرَةٌ وَمِنْهَـا تَـأْكُلُونَ . وَعَلَيْهَـا وَعَلَـى الْفُلْـكِ تُحْمَلُـونَ﴾ [المؤمنـون: ٢١ . ٢٢] فـأخبر عـن الـنِّعم التـي فـي أصـناف الـنَّعَم إناثهـا وذكورهـا، فلـم يحتمـل أن يـراد بهـا البعض كما كان في الأول ذلك))[٦٧].

ومعنـى هـذا أن ((هـذه المنـافع تعـم جميـع الأنعـام ذكورهـا وإناثهـا، صـغارها وكبارهـا، فجـاء بضـمير القلـة وهـو ضـمير الـذكور للأنعـام التـي يسـتخلص منهـا اللـبن، وهـي أقـل مـن عمـوم الأنعـام، وجـاء بضـمير الكثـرة لعمـوم الأنعـام. فلمـا كانـت الأنعـام في الآية الثانية أكثر جاء بالضمير الدالّ على الكثرة))[٦٨].

* * *

ومـن ذلـك قولـه تعـالى: ﴿أَنِّـي أَخْلُـقُ لَكُـم مِّـنَ الطِّـينِ كَهَيْئَـةِ الطَّيْـرِ فَـأَنفُخُ فِيـهِ فَيَكُـونُ طَيْـراً بِـإِذْنِ اللّهِ﴾ [آل عمـران:٤٩]، وقولـه: ﴿وَإِذْ تَخْلُـقُ مِـنَ الطِّـينِ كَهَيْئَـةِ الطَّيْـرِ بِـإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾ [المائدة:١١٠].

فقـال فـي آيـة آل عمـران: (فـأنفخ فيـه) بتـذكير الضـمير المتصـل، وقـال فـي آيـة المائدة: (فتنفخ فيها) بتأنيث الضمير المتصل، فما سبب ذاك؟

يقـول بـدر الـدين الجماعـة: إن آيـة المائـدة مـن كـلام الله تعـالى لعيسـى عليـه السـلام يـوم القيامـة معـددًا نعمـه عليـه بعـدما مضـت، ((وكـان قـد اتفـق مـن ذلـك مـرات، فحسـن التأنيـث لجماعـة مـا صـوّره مـن ذلـك ونفـخ فيـه))[٦٩]. وهـذا يعنـي أن ابـن جماعة يرى أن ضمير التأنيث في آية المائدة يدل على الكثرة.

* * *

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف : ٤]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد : ١٣]. فقال في آية الأعراف: (أهلكناها) بتأنيث الضمير، وفي آية محمد: (أهلكناهم) بتذكيره.

إن تأنيث الضمير في آية الأعراف أفاد معنى الكثرة، أي كثرة القرى المهلكة، فالقرى في آية الأعراف أكثر، ((فقد خصص القرى في آية محمد بالقوة فقال: ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ وأطلقها في آية الأعراف فأفاد الكثرة فجاء بضمير المؤنث فيها))[٧٠].

* * *

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾ [الكهف: ٥٩]، وقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

فقال في آية الكهف: (أهلكناهم)، وقال في آية الحج: (أهلكناها)، ((ذلك أنه قال في آية الحج: (فكأين)، و(كأين) يفيد التكثير، ولم يقل مثل ذلك في آية الكهف . . . في حين أنه سبق آية الحج ذكر من أخذهم ربنا من الأقوام المهلكة، ثم قال: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤] فناسب التكثير فجاء بضمير المؤنث الدالّ على الكثرة))[٧١].

* * *

خاتمة البحث:

أحمدك ربي كما علمتني أن أحمد، وأصلي وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد، بعد:

فيمكنني أن أوجز نتائج البحث بما يأتي:

١ـ هناك صور عديدة للدلالة على القلة والكثرة منها جموع التكسير، وقد رأينا أن الكلمة الواحدة في القرآن قد يكون لها جمعا تكسير، أحدهما يفيد القلة، والآخر يفيد الكثرة.

٢ـ قد يؤتى بجمع القلة للدلالة على القلة النسبية لا الحقيقية كما رأينا ذلك في (الأبرار، والبررة)، و(الذكور والذكران).

٣ـ قد يكون هناك اتساع في جموع التكسير فيستعمل أحد الجمعين مكان الآخر كما رأينا في الجمع (قروء).

٤ـ إذا كان للاسم جمعان: أحدهما جمع سالم والآخر جمع تكسير فالجمع السالم للقلة والتكسير للكثرة، وهذا يشمل جمع المذكر وجمع المؤنث كما رأينا ذلك في (سنبلات وسنابل) و(نبيين وأنبياء).

٥ـ ليس المقصود من قول النحاة: (إن الجمع السالم للقلة) أن يكون المراد أن العدد من الثلاثة إلى العشرة دائمًا، فقد يكون المراد ذلك، وقد يكون المراد أنه إذا كان للكلمة جمعان أحدهما جمع سالم والآخر جمع تكسير فالجمع السالم أقل من جمع التكسير، بغضّ النظر عن العدد.

٦ـ قد يأتي التذكير مفيدًا للقلة، والتأنيث مفيدًا للكثرة، كما رأينا ذلك في تذكير الفعل وتأنيثه نحو قوله تعالى: (كُـذِّب رسـلٌ) و(كُـذِّبَت رسـل)، وكما رأيناه في تذكير الضمير وتأنيثه نحو قوله تعالى: (نسقيكم مما في بطونه) وقوله: (نسقيكم مما في بطونها) وقد يعدل من تعبير إلى آخر لضرب من البلاغة، كتنزيل القلة منزلة الكثرة وبالعكس مما يليق به المقام.

٧ـ هناك صورتان للإفراد والجمع في القرآن الكريم، الصورة الأولى: استعمال الجمع للقلة والمفرد للكثرة، وهذا ما يكون في تمييز العدد والضمير العائد على جمع غير العاقل واسم الإشارة وصفة جمع ما لا يعقل نحو ما مر بنا في (أيام معدودة) و(أيام معدودات). والصورة الثانية: استعمال المفرد للقلة والجمع للكثرة، كما رأينا ذلك في قوله تعالى: (ومنهم من يستمع إليك) وقوله: (ومنهم من يستمعون إليك).

والحمد لله رب العالمين

الحواشي السفلية:

(١) ينظر شرح الأشموني ١٢٠/٤ ، وشذا العرف لأحمد الحملاوي ١٢٣ ـ ١٢٤.
(٢) الكتاب لسيبويه ١٨١/٢ ـ ١٨٢.
(٣) المفصل للزمخشري ١٧٥.
(٤) شرح المفصل لابن يعيش ١٩/٥.
(٥) شرح المفصل ١٩/٥.
(٦) ينظر معاني الأبنية في العربية ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ١٣١.
(٧) ينظر دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ـ الدكتور أحمد مختار عمر ٢٠.
(٨) تفسير الرازي للفخر الرازي ١٧٦/٦.
(٩) روح المعاني للآلوسي ١٦٠/٢.
(١٠) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ٢٠٦.
(١١) ينظر معاني الأبنية في العربية ١٣١.
(١٢) تفسير الرازي ٣٠/١٠.
(١٣) روح المعاني ٢٤٢/١٤ ، وينظر الدر المصون للسمين الحلبي ١٧٢/١٨.
(١٤) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ٢٠٥.
(١٥) معاني الأبنية في العربية ١٣٧.
(١٦) معاني الأبنية في العربية ١٣٧ ـ ١٣٨.
(١٧) معاني الأبنية في العربية ١٥٣.
(١٨) الكتاب لسيبويه ١٧٩/٢.
(١٩) شرح المفصل ج٥ ص٢٠.
(٢٠) صيغ الجموع في القرآن الكريم ـ الدكتورة وسمية المنصور ٩٣/٢.
(٢١) تفسير الكشاف للزمخشري ٤٤٢/١.
(٢٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٩٧/٢ ـ ١٩٨.
(٢٣) أي عند النحاة.
(٢٤) معاني الأبنية في العربية ١٣٠.

(٢٥) ينظر جموع القلة والكثرة وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم ـ عتارسية أمينة ٦.
(٢٦) الجمع في القرآن الكريم وأبعاده الدلالية ـ يوسف العثمان ١٠ ـ ١١.
(٢٧) شذرات من القضاء والجزاء في التعبير القرآني ـ فاضل صالح السامرائي ٤١ ـ ٤٢.
(٢٨) شذرات من القضاء والجزاء ٤٢.
(٢٩) أي آية البقرة.
(٣٠) التفسير القيم ـ ابن قيم الجوزية ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ
(٣١) ملاك التأويل ـ أحمد بن الزبير الغرناطي ١٣١/١.
(٣٢) الجمع في القرآن الكريم وأبعاده الدلالية ١٠ ـ ١١
(٣٣) ينظر تفسير الرازي ٩٩/٣ ، وروح المعاني ٢٦٧/١.
(٣٤) ينظر التعبير القرآني ـ فاضل صالح السامرائي ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ، وملاك التأويل ٦٢/١ ـ ٦٣.
(٣٥) معاني النحو ـ فاضل صالح السامرائي ١٣٨/١ ـ ١٣٩.
(٣٦) من أسرار البيان القرآني ـ فاضل صالح السامرائي ٨٤.
(٣٧) همع الهوامع ـ السيوطي ٢٠٥/١.
(٣٨) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٢/٤.
(٣٩) على طريق التفسير البياني ٣٥٩/٣.
(٤٠) معاني القرآن للفراء ٤٣٥/١.
(٤١) مجالس ثعلب ـ أبو العباس ثعلب ٢٢٧/١.
(٤٢) البيت لجرير بن عطية ـ ينظر الأشموني ١٣٩/١ ـ ديوان جرير ٤٥٢.
(٤٣) درة الغواص ١١٧.
(٤٤) التعبير القرآني ٤١.
(٤٥) البحر المحيط ٨٨/٢.
(٤٦) دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل ـ محمد فاضل السامرائي ٩١.
(٤٧) روح المعاني ١٣٩/١٢.
(٤٨) على طريق التفسير البياني ٣٣٦/٣.
(٤٩) درة التنزيل وغرة التأويل ـ الخطيب الإسكافي ٢٦٥/١.
(٥٠) التعبير القرآني ٥١.
(٥١) عصمة القرآن وجهالات المبشرين ـ إبراهيم عوض ٤٤.
(٥٢) عصمة القرآن وجهالات المبشرين ٤٤.
(٥٣) معاني النحو ٨٣/١.
(٥٤) معاني النحو ١٣١/١ ، وينظر قبسات من البيان القرآني ـ فاضل صالح السامرائي ١٣٠.
(٥٥) البرهان في متشابه القرآن ـ محمود بن حمزة الكرماني ١٤٠
(٥٦) التعبير القرآني ٥٥.
(٥٧) معاني النحو ١٦٨/١.
(٥٨) معاني النحو ١٦٩/١.
(٥٩) معاني القرآن للفراء ٤٣٥/١.
(٦٠) الكليات لأبي البقاء الكفوي ٨١٨ ـ وينظر معاني النحو ٨٣/٢.
(٦١) معاني النحو ٨٣/٢ ـ ٨٤.
(٦٢) معاني النحو ٨٤/٢.
(٦٣) ينظر التعبير القرآني ٢١١.
(٦٤) ينظر ملاك التأويل ١٨٢/١.
(٦٥) شذرات من القضاء والجزاء ٦٣ ـ ٦٤.
(٦٦) قبسات من البيان القرآني ٢٨٦.
(٦٧) درة التنزيل ٨٠٥/٢ ، وينظر البرهان للكرماني ١٦٢ ، والبحر المحيط ٤٩٢/٥ ـ ٤٩٣.
(٦٨) التعبير القرآني ٢١١.
(٦٩) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ـ بدر الدين بن جماعة ١٢٩.
(٧٠) على طريق التفسير البياني ٢٢٦/٤ ـ ٢٢٧.
(٧١) على طريق التفسير البياني ٢٢٧/٤ ـ ٢٢٨.

قائمة المصادر :

ـ البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ـ تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ البرهان في توجيه متشابه القرآن ـ محمود بن حمزة الكرماني ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ دار الفضيلة .

ـ البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة.

ـ التعبير القرآني ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

ـ تفسير الرازي ـ فخر الدين الرازي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ـ التفسير القيم ـ ابن قيم الجوزية ـ جمعه محمد أويس الندوي ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

ـ تفسير الكشاف ـ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ـ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ـ مكتبة العبيكان ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ الجمع في القرآن الكريم وأبعاده الدلالية ـ يوسف العثماني ـ دار سحر للنشر ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

ـ دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل ـ الدكتور محمد فاضل السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

ـ دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ـ أحمد مختار عمر ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

ـ درة التنزيل وغرة التأويل ـ الخطيب الإسكافي ـ دراسة وتحقيق محمد مصطفى آيدين ـ جائزة دبي للقرآن الكريم ـ الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

ـ درة الغواص في أوهام الخواص ـ القاسم بن علي الحريري ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـ السمين الحلبي ـ تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرّاط ـ دار القلم ـ دمشق.

ـ ديوان جرير ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ شذا العرف ـ أحمد الحملاوي ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

ـ شذرات من القضاء والجزاء في التعبير القرآني ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ دار إحياء الكتب العربية بمصر ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ـ شرح المفصل ـ ابن يعيش ـ تحقيق الدكتور إبراهيم محمد عبد الله ـ دار سعد الدين ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

ـ صيغ الجموع في القرآن الكريم ـ وسمية المنصور ـ مكتبة الرشد ناشرون ـ السعودية ـ الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

ـ عصمة القرآن وجهالات المبشرين ـ إبراهيم عوض ـ مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ٢٠٠٥م.

ـ على طريق التفسير البياني ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

ـ قبسات من البيان القرآني ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

ـ الكتاب ـ سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان ـ نسخة مصورة عن طبعة بولاق ـ مكتبة المثنى ـ بغداد.

ـ كشف المعاني في المتشابه من المثاني ـ بدر الدين بن جماعة ـ تحقيق عبد الجواد خلف ـ دار الوفاء ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ـ الكليات ـ أبو البقاء الكفوي ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ مجالس ثعلب ـ أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ـ شرح وتحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف بمصر ١٩٤٩م.
ـ معاني الأبنية في العربية ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.
ـ معاني القرآن ـ يحيى بن زياد الفراء ـ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
ـ معاني النحو ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.
ـ المفصل في علم العربية ـ الزمخشري ـ دراسة وتحقيق الدكتور فخر صالح قدارة ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
ـ ملاك التأويل ـ أحمد بن الزبير الغرناطي ـ تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
ـ من أسرار البيان القرآني ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن كثير ـ سوريا ـ الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.
ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ـ عالم الكتب ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

Paucity And Multitude In The Holy Quran
Denotative Analysis Study

Dr. Mohammed Fadhel Saleh Al-Samarrai
Associate Professor
University Of Sharjah

Abstract:

This study examines the issue of paucity and multitude in the Holy Quran: a semantic analytical study. It deals with different patterns and multiple images to denote paucity and multitude in the Holy Quran. It addresses different cases of broken and sound plurals, singular and plural, masculine and feminine. The study reveals findings including that the word may have two types of broken plural; one of them is for paucity and the other one is for multitude. The meaning of paucity plural refers of the number ranging between three to ten; but if the number exceeds ten, it will be multitude plural. Paucity plural may refer to relative paucity. If the word has two plural forms, one of them is sound and the other is broken, then the sound will be for paucity and the broken plural will be for multitude. It is noteworthy that sound plural and paucity does not mean that the number should always be ranging between three to ten, as it could be so and could refer to that if the word has two plural forms one of them is sound and the other is broken; hence, the sound plural is less than the broken plural regardless of number. In addition, masculine may refer to paucity and feminine may refer to multitude.

Key words: paucity – multitude – plural of paucity – plural of multitude – broken plural – sound plural – masculine – feminine.